

الدّخيل في اللّغة العربيّة

يجدر بنا في مقدمة هذه المحاضرة أن نشير إلى ملاحظة منهجية في دراسة الدّخيل والمعرّب؛

إن علماء العربية القدامى لم يكونوا يفصلون بين المعرّب والدّخيل، بل عدوهما مفهوما واحدا فيعبرون عن الواحد بالآخر دون أن يلتمسوا حدودا بارزة لهما، فهاهو شهاب الدين الخفاجي (ت1029) في كتابه "شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدّخيل" يخلط بين المصطلحين، واكتفى بالقول: "إن التعريب نقل اللفظ من العجمية إلى العربية"، فهو على ما يبدو لا يشترط شيئا في الدخيل ليصير معرّبا، فمتى استعملت اللفظة الدّخيلة في الكلام العربي صارت معرّبة.

وقد نالت قضية المعرّب والدّخيل هذه اهتمام علماء اللغة العرب القدامى؛ فهي ظاهرة قديمة ومتجددة في الوقت نفسه؛ قديمة تعود إلى زمن الجاهلية والعصر الإسلامي، عبر تعريب المصطلحات الحديثة في تلك الفترة، وهي حديثة متجددة لمواكبة الألفاظ المستحدثة في العصر الحديث، خاصة ما يتعلق بالعلوم التجريبية والطب..

ونحن عمدنا إلى الفصل بين المصطلحين في محاضرتين مستقلتين لداع منهجي من جهة ومن جهة أخرى كون كثير من علماء العربية المحدثين قد اجتهدوا وحاولوا خلق فاصل مفهومي بينهما.

مفهوم الدّخيل:

عرّفه الزمخشري (ت 538) في "أساس البلاغة" قائلاً: "هو دخيل في بني فلان، إذا انتسب معهم وليس منهم"، فالدخيل يطلق وصفا على من كان أجنبيا غريبا جديدا على المجموعة ولما يندمج بعد في نسيج الجهة المستقبلية، لأنه إذا تماهت طبيعته مع محيطه واستجابت خلقته للأشكال الحياة التي يعيشها مستقبلوه أصبح وكأنه منهم وتعذر فرزه من بينهم للجاهل به بدءا.

أما في اصطلاح فقه اللغة فقد عرفه الدكتور علي عبد الواحد وافي في كتابه فقه اللغة بأنه: "ما دخل اللغة العربية من مفردات أجنبية، سواء في ذلك ما استعمله العرب الفصحاء في جاهليتهم وإسلامهم، وما استعمله من جاء بعدهم من المولّدين".

واختصر المعجم الوسيط تعريفا اصطلاحيا له : "هو اللفظ الأجنبي الذي دخل العربية دون تغيير". وحتى نبسط الأمور أكثر ونحسم حدوده المفهومية لمصطلح الدّخيل نقدّم أمثلة توضيحية: أوكسجين، تليفون، تلفزيون... تتنطق كما هي في لغاتها الأصلية التي أخذت منها.

بين الفصحح والدّخيل

نالَت هذه القضية حظّها الوافرَ في الكتب والمعاجم العربية عند القدماء خاصة، فقد أشار إليها الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت175) في معجمه "العين"، ووضع بعض المعايير والموازن لمعرفة الكلمات الأصلية من الدخيلة، ثم جاء بعده تلميذه سيبويه وتناول الظاهرة بشكل من التفصيل، لتليه أعمال مجموعة من اللغويين: (كابن دريد في كتابه "الجمهرة"، والجواليقي في كتابه "المعرب"، والفيروزآبادي في "القاموس"، والخفاجي في "شفاء الغليل"... إلخ)

ويصنف الدخيل في باب تداخل اللغات أو تحت عنوان الاقتراض، بمعنى أنّ العرب عبّرت عن أمور غير مألوفة عندهم وفقًا لقانون التأثير والتأثر، أما فيما يتعلق بالفصاحة، فإن استعمال الكلمات الدخيلة لا يضرّ بالبلاغة بل بالعكس تمامًا قد تكون اللفظة الدخيلة حين تؤدي دورها كما يجب في الجملة تحقق غاية الكلام وبالتالي تصبح بليغة.

معرفة الكلمة الدخيلة (معايير عجمة الكلمة)

تعرف عجمة الكلمة بأمر عدة أهمها:

- خروجها من الأوزان العربية نحو "إبريسم"، "أمين" على وزن إفعيل وفاعيل وهذان الوزنان غير موجودين في أوزان أسماء اللغة العربية
- اجتماع حرفين لا يجتمعان في الكلمة العربية، لذلك حكم اللغويون على "الطاجن" (الطبق يقلّى عليه)، وصولجان، منجنيق، مُهندز" بأنها أعجمية وذلك لاشتغال الكلمة الأولى على الطاء والجيم، والثانية على الصاد والجيم، والثالثة على القاف والجيم، ولانتهاء الرابعة بزاي مسبوقة بدال. وكل هذا لا نجده في الكلمات العربية الأصلية.
- خلوّ الكلمات الرباعية والخماسية من الحروف التالية (ب - ر - ف - ل - م - ن)، ويستثنى من ذلك كلمة "عسجد" (بمعنى الذهب) التي نص عليها علماء اللغة العربية على عريبتها.
- إذا نص علماء اللغة على عدم عربية الكلمة وأجمعوا كلمتهم على ذلك الرأي.